المحاضرة (8-9)

تنوعت المحميّات الطبيعيّة في إقليم البادية السوريّة نتيجة لتنوّع نظمه الإيكولوجيّة، وهي:

1- النظم الإيكولوجيّة السهلية الهضبية: تمثّلها محمية التليلة.

2-النظم الإيكولوجيّة الجبلية والجروف الصخرية: تمثّلها ثلاث محميات هي: محمية أبو رجمين، محمية (طائر أبو النوق، محمية البلعاس)

3- النظم الإيكولوجيّة للمناطق الرطبة والمائية : تمثّلها خمس محميات تضمّ عدة نظم إيكولوجية :

- السباخ الصحراوية: تمثلها محمية سبخة الموح.

- بحيرة صناعية: تمثلها محمية الثورة.

تخطيط نظام شبكة للمحميات الطبيعيّة في إقليم البادية السوريّة:

مفهوم التخطيط لشبكة المحميّات الطبيعيّة وغرضه:

يقدّم إتباع نهج تخطيط نظام متكامل للمحميات الطبيعيّة في إقليم البادية السوريّة زيادة احتمالات في حماية نظمه الإيكولوجيّة وموارده الطبيعيّة، ويتيح الفرصة لمعالجة معظم التهديدات الرئيسية للتنوّع الحيويّ فضلا عن القضايا الأوسع نطاقا التي تهمّ المجتمع كلّه، فإذا لم يتمّ تحديد الروابط بين المناطق المحمية والعوامل الخارجية ومعالجة القضايا الأساسية التي تقع خارج المناطق المحمية؛ فلن تنجح برامج الحماية للمناطق المحمية إلا إذ كان لها نظام يعتمد على: نهج منظّم من التخطيط على المستوى الكلي، ويرتكز إلى عملية ديناميكية في إطار معرفي) ويستند إلى استخدام النظم الفكرية بوصفها وسيلة تعمل على إقناع الآخرين بأهميّة ربط المناطق المحمية بالأولويات الوطنية التنموية، ومن الضروري عند تخطيط النظام لشبكة المحميّات الطبيعيّة أن يكون "تخطيطا بيئيا على المستوى الوطني متكاملا مع الاستراتيجيات الوطنية لحمايةِ التنوّع الحيويّ ، واستراتيجيات التنمية المستدامة وذلك بغية تحقيق أكبُر قدر من المواءمة بين خطط الدولة التنموية بعناصرها المختلفة من: (زراعة،صناعه، تعدين،سياحة،إسكان...إلخ)، وإرساء الأسس الرشيدة لتنمية الموارد الطبيعيّة للبلاد تنمية مستمرّة ومستدامة بحيث تظلّ صالحة للاستخدام وقادرة على تلبية الاحتياجات المشروعة للأجيال الحالية، ويحفظ للأجيال القادمة حقّها في الاستفادة من هذه الثروات على المدى المنظور والمدى البعيد.

- **فوائد التخطيط لشبكة المحميّات الطبيعيّة وأهدافه :**

يمكن أن تُجنى من تخطيط نظام للمحميّات الطبيعيّة في إقليم البادية السوريّة فوائد كثيرة منها:

1- يحثّ على تطوير نظم إدارية فعّالة بطريقة عقلانية ومرنة لكلّ محمية ، كي تستوعب الإضافات المقترحة التي تسهم في تطويرها.

2-يقدّم رؤية أوسع لمعالجة القضايا التي يمكن أن تعرقل عمليّات الحماية مثل اتخاذ القرارات، وتوضيح مسؤوليّات مختلف الجهات المعنية، وتسهيل مشاركة أصحاب المصلحة

3-يوفّر إطارا منظما للمناطق المحمية الطبيعيّة بدءا من المناطق التي تدار بطريقة الحماية الصارمة إلى المناطق التي تدار بطريقة الإدارة المرنة.

4-يسهم في الوفاء بالالتزامات الدولية في الحفاظ على التنوعّ الحيويّ ، و هذا الأمر يوفّر دعما سياسيا على المستوى الوطني والدولي للمناطق المحمية بوصفها منشأة جديرة بالاهتمام؛ ممّا يساعد على الوصول إلى التمويل الوطني والدولي.

5-يعزّز فعّالية الميزانيات الرسمية للمناطق المحمية والمشاريع التنموية وكفاءة ضبطها؛ وذلك من خلال تحديد أولويات الاستثمار .

وينبغي التركيز عندما يتمّ تخطيط نظام للمحميات الطبيعيّة في إقليم البادية السوريّة على أربعة أهداف استراتيجية هي:

-1 حماية الموارد الطبيعيّة في الإقليم بوصفها أساسا لمشاريع التنمية المستدامة المتكاملة مع قطاعات الدولة في إطار عام عبُر جميع الجهات الوطنية ذات الصلة؛ من أجل تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لحماية البيئة على المدى البعيد.

-2-تكامل العمل الوطني في الإقليم، وتبادل الخبُرات مع دول الجوار والمنظّمات الدولية ذات الصلة بغية الإفادة من حصيلة المعارف العلمية والتقنية ذات الصلة بصون التنوعّ البيولوجي والنظم الإيكولوجيّة

3- تنمية القدرات العلميّة والتقنيّة لإعداد خطط في إدارة المحميّات في الإقليم من خلال تطوير آليات التنسيق مع إدارات المحميّات الطبيعيّة في البلاد.

4- إنشاء شبكة وطنية للمحميّات الطبيعيّة تشمل النظم الإيكولوجيّة المهمّة في الإقليم لها مجلس إدارة موحد.

محمية التليلة الطبيعيّة أنموذجاً للتنمية المستدامة في إقليم البادية السورية

الموقع" :يقع مشروع محميّة التّليلة الطبيعيّة الى الجنوب الشرقي من مدينة تدمر تبعد عنها 20 كم التي تقع في وسط إقليم البادية السورية، وتتبع المدينة إدارياً لمحافظة حمص، وقد بلغت مساحة المشروع الإجماليّة نحو " 130 (ألف هكتار، خُصّص منها (22) ألف هكتار لتكون محميّة طبيعيّة للحياة البريّة من أراضي منطقة التليلة، وأعلنت بقرار رسمي في عام (1991) محمية طبيعية، الغرض منها حماية التنوّع الحيويّ، وهي بهذا الغرض من الإعلان تكون أوّل محمية في البلاد تعنى بحماية الحياة البرية.

مهدّدات الحياة البريّة في محمية التليلة الطبيعيّة

ليست الحياة البريّة التي توجد في الوقت الحاضر في إقليم البادية سوى جزء قليل من الأنواع التي كانت توجد في الماضي القريب بوفرة في الإقليم، فقد شهد الإقليم تهديداً غير مسبوق لحيواناته البريّة خلال العقود القليلة الماضية، وتعود أسباب تهديد الحياة البريّة في الإقليم إلى نوعين من الأسباب، يمكن تصنيفها إلى أسباب مباشرة وأخرى غير مباشرة:

التهديدات غير المباشرة:

إنّ وجود موائل ونظم إيكولوجيّة سليمة تُعدّ من القضايا الحاسمة لاستمرار الحياة البريّة وبقائها وتكاثرها، وإنّ تدهورها وتدميرها من الأسباب الأساسيّة في خسارة الحياة البريّة، وغالباً ما تُحمَّل المجتمعات المحليّة الرعوية في داخل الإقليم التي يرتبط اقتصادها ارتباطاً وثيقاً بالموارد الطبيعيّة، المسؤوليّة الأساسيّة في تدهور النظم الإيكولوجيّة وتدميرها من خلال أنشتطها غير المنضبطة التي تتجلّى بجملة من الممارسات الخاطئة: كالرعي الجائر، وجمع الحطب، واستنزاف المياه الجوفيّة، وتحويل المراعي إلى أراضي زراعيّة...إلخ،

- وهنا لابد من الإشارة إلى أنّ النموّ السكّاني المتسارع المترافق مع عدم وجود خطط إنمائيّة تأخذ في الحسبان القضايا البيئة، يُعدّ من أبرز الأسباب غير المباشرة التي تسهم في تدمير النظم الإيكولوجيّة، ومن المؤشّرات على ذلك أن عدد سكّان سورية في عام 1950 كان نحو (3.5) مليون نسمة، بينما بلغ عددهم 23 مليون نسمة بحلول عام 2010 ، أي تضاعف السكّان في سورية (6.5) مرة في غضون ستة عقود؛ ممّا يعني تضاعف الطلب على اللحوم عدّة مرات في فترة زمنيّة قصيرة، وهذا ما قد حصل فعلا في إقليم البادية السورية، إذ تضاعف قطيع الأغنام أكثر من خمس مرات حيث وصل الى 3 ملايين رأس عام(1950) بينما وصل الى 15،4مليون عام2000 خلال خمسة عقود فقط، ونظراً لتسارع النموّ السكّاني في البلاد، فإنّ حجم الطّلب على اللحوم قد تزايد بشكل مطّرد وخاصة تصدير قسم منها كبير إلى دول الجوار، وهذا الأمر أدّى إلى تضخمّ حجم قطيع الأغنام بشكل كبير في الإقليم من أجل تلبية حاجة السّوق من الألبان واللحوم، ممّا شكّل ضغطاً على المراعي، وأجبر المجتمعات البدويّة على الإفراط في رعي الجبال والسّهول الوعرة الفقيرة بشكل كبير بغطائها النباتي فضلاً عن شراء الأعلاف لأغنامهم على نحوٍ متزايد؛ وذلك إبان تدهور المراعي الخصبة وانخفاض إنتاجيتها، فهي غيرمنتجة لعدّة أشهر في السّنة، وخلاصة القول: إنّ التّزايد الطردي ما بين عدد السكّان والثّروة الحيوانيّة بحدّ ذاته يعطي مؤشّراً واضحاً من - وجهة نظر بيئيّة- على تهديد النظم الإيكولوجيّة، وصولاً إلى انخفاض إنتاجيتها فيما بعد.

2- التهديدات المباشرة:

1- الصّيد العشوائي:

هو إطلاق النار بشكل عشوائي على كلّ أنواع الحيوانات البريّة بغضّ النظر عن كونهّا صالحة للطعام أو ذات قيمة تّجاريّة.

تشكّل هذه الممارسة ظاهرة شائعة في إقليم البادية، يقوم بها صيادون سوريون أو أجانب أو عرب، ويرافقهم في رحلة الصّيد أشخاص من أهالي المنطقة لهم خبرة في الصّيد لقاء مبلغ من المال، ويعملون بوصفهم مرشدين لهم، علماً أنّ هناك قانوناً يحظر الصّيد في إقليم البادية، وهذا ما يدعنا أن نسمّية الصّيد غيرالمشروع، لكن يبدو أنّ الإجراءات التّنفيذيّة الخاصة بتطبيق هذا القانون غير كافية؛ فعلى سبيل المثال قتل صياد من بلد عربي في صيف عام 2003 طائر **أبو منجل الأصلع الشّمالي، بمساعدة مرشد من مدينة** تدمر، على الرغم من الاهتمام الدّولي والحماية الصّارمة لهذا الطائر كونه من الطيور النادرة جدّ اً في العالم.

٢ -**تسميم جثث الحيوانات النافقة:**
هي ظاهرة يمارسها رعاة الماشية في الإقليم، إذ يقومون بتسميم جثث الحيوانات النافقة من أجل القضاء على الحيوانات المفترسة الخطرة كالذئاب والضباع، لكن هذه الطريقة لاتقضي على هذه الحيوانات فحسب بل تهدّد بقاء جميع الحيوانات البريّة اللاحمة بغض النظر عن درجة خطورتها، مثل (الثّعالب والقطط البريّة، والنسور...إلخ).

أدّت الأسباب المباشرة التي تمثّلت في الصّيد غير المنضبط وتسميم جثث الحيوانات النافقة والأسباب غير المباشرة المتمثّلة في مشكلة الرعي وجمع الحطب وتحويل المراعي إلى أراضي زراعيّة إضافةً إلى قضيّة النموّ السكّاني في البلاد، إلى تدمير الموائل الطبيعيّة لحيوانات الإقليم البريّة ونظمها الإيكولوجيّة، وهذا الواقع هدّد بشكل مباشر الحياة البريّة في الإقليم، وهناك دلائل واضحة تظهر ذلك إذ تشير التّقديرات إلى انقراض (16) نوع من حيوانات الإقليم البريّة خلال الآونة الأخيرة، منها (14) نوعاً ما تزال تعيش في البلدان الأخرى..

المحاضرة (9) بعض النتائج التي يمكن الخروج بها بعد دراسة البادية السورية

1-يعد إقليم البادية السورية إقليماً رعوياً بامتياز، وتلائم أنظمته الإيكولوجية الهشة الوظيفية الاستثمارية، التي تقوم على الاقتصاد الرعوي الذي عماده الرعي المتنقل حيث مواطن الكلأ والماء، وليس إقليماً لإنتاج المحاصيل الزراعية الحقلية.

2-يُعدّ فصل الشّتاء أغزر فصول السّنة أمطاراً في إقليم البادية السورية؛ إذ تتركّز فيه أكبر كميّة هطول مطري،وتصل نسبتها إلى (حوالي 52,7)%من أمطار السّنة، تليها في الأهمّيّة والتّركيز الفصلي أمطارفصل الربيع التي تراوح نسبة الهطل فيه 30 %من الأمطار السّنويّة، وتأتي أمطار الخريف في المرتبة الثّالثة في قائمة فصليّة الأمطار من أمطار الإقليم ونسبتها17.4%، أمّا فصل الصّيف فهو نادر الهطل؛ إذ لا تتجاوز نسبة كميّة الامطار 1%.

3-تبدأ الزراعات البعلية عادةً في سورية مع موسم هطول الأمطار الشّتويّة في شهر كانون الأول، ويسجّل شهر كانون الثّاني أعلى قيمة لكميّة الأمطار بين أشهر السّنة، فكثيراً ما تقترب المناطق من معدلات أمطارها السنوية في هذين الشهرين، لكن الشهر الحاسم في تحديد نجاح الزراعة البعلية هو شهر آذار؛ إذ إن لأمطاره أهمّيّة كبير في تزايد النشاط الحيويّ للنباتات، وفي هذا الشهر تنكسر حدّة برد الشّتاء، وتميل درجات الحرارة إلى الارتفاع، فإن هطلت الأمطار في

هذا الشهر نجحت الزراعة البعلية بينما إن حبست الأمطار في هذا الشهر فإن الزراعات البعلية لا تنجح حتى لو تجاوزت الأمطارالسنوية معدلاتها السنوية في الشهور السابقة.

3- تعد موجات الجفاف من الظواهر البيئية المتكرّرة التي تسهم في إجهاد إقليم البادية السورية بيئيا،وتصبح من أخطر الكوارث عندما ترافقها ممارسات خاطئة تلحق الضرر في نظم الإقليم الإيكولوجية، وزيادة الحساسية للتصحر، وتبين من خلال تحليل المعدّلات السنويّة لمدة 30 عاماً لأمطار محطة تدمر المناخية، إذ إنّ الإقليم مرّ بسبع موجات جفاف في فترات متقطّعة ومتفاوتة في حدّتها أثّرت في التنوّع الحيويّ في إقليم البادية السورية، هي حسب الآتي:

1-موسمان كارثيان، في العامين 1999- 2008

2-موسمان جافان جداً، في العامين 1990 - 1995

3-ثلاثة مواسم جافّة، في أعوام (1989- 1998- 2002)

5-تُعدّ الرياح من العوامل شديدة الفاعلية في تصحّر إقليم البادية السورية، إذ أصبحت فترات الجفاف أكثر تواتراً وأشد حدّة، وتزايدت شدّة العواصف التّرابيّة وتكراريتها بسبب انخفاض معدّلات الأمطارمن جهة وزيادة مساحة الأراضي المفلوحة من جهة ثانية، وتزداد فاعليّة الريح في الإقليم في أثناء الفصل الجاف الذي تكون نسبة التغطية النباتيّة فيه قليلة وسطح التّربة جافّاً، ممّا يؤدّي إلى تعرية الأرض من تربتها وإثارة عواصف ترابيّة رمليّة، تصل إلى حواضر المدن السورية

6- تم تصنيف الترب إقليم البادية السورية وفق التصنيف الأمريكي للترب، وتبين أنّ ترب إقليم البادية السورية تنتمي وفق التصنيف الأمريكي للترب لخمس رتب من التربة، تضمّ 9 مجموعات تربة، وتنقسم هذه المجموعات إلى 37 وحدة من التربة وهي:

.1- رتبة التّرب الجافّة

2- رتبة التّرب الفجة غير المتطوّرة

3-رتبة الترب قليلة التطور غير الجافة(الشابة)

4-رتبة الترب الطينية المشققة

5- رتبة الترب البركانية

7-وثقت الدّارسة الوطنيّة للفلورة السورية ما يزيد على ثلاثة آلاف نوعاً نباتيّاً 3150 ، تنتمي إلى 900جنسٍ، و 130 فصيلة، ومن هذه الأنواع 22 نوعاً من أفلورة التّريديات، و 12 نوعاً من أفلورة عرياناات البذور وغمديات البذور، معظمها مهدّدة بالتدهور بسبب الأنشطة الزراعيّة، والرعي والحرائق والقطع، ومن أفلورة مغلفات البذور 3100 نوعاً.

8- هناك صعوبة في تصنيف إفلورة إقليم البادية السورية بالطّرائق التّقليديّة ويرجع ذلك لسببين؛ الأول لارتباط التنوّع البيئيّ الموجود في الإقليم بتنوّع الطّبوغرافيّة والمناخ والتّربة، والثاني

لضغوط الاستثمار(الرعي، الاحتطاب، الحراثة)، بحيث أصبحت معالم الغطاء النباتيّ غير واضحة ، لذا تم تصنيفه الى المجموعات النباتية الرئيسية، هي مجموعة الرمث، مجموعة الصر، مجموعة النيتون، مجموعة الشنان، مجموعة الخرينيبة، مجموعة الشيح.

9-شوهدت بقايا متنوعة من الأشجار منتشرة في مناطق مختلفة في إقليم البادية السورية ولاسيّما المناطق الجبليّة، ومن أهمّ هذه الأشجار :السّدر الضال، السّويد الفلسطيني، الخوخ البرّيّ، البطم الأطلسي

10- وثقت الدراسة الوطنية للتنوّع الحيويّ مايزيد على 2500 نوع من الحيوانات في سورية 62% منها من الحشرات، و 15% من الطيور، و 6% من الزواحف والبرمائيات، و 5% من الثدييات، والباقي من اللافقاريات والكائنات الدقيقة.

11- أثبت تجارب الأبحاث البيئية في سورية الأهمية الاقتصادية والحيويّة للأنواع الحشرية المفيدة، وفعالية أسلوب المكافحة الحيويّة للآفات النباتية.

12- يعدّ إقليم البادية السورية موطناً لأنواع من الأفاعي ذات القيمة الاقتصادية العالية، وخاصة من نوع بيروس، إذ يُقدّر ثمن 10 غرامات من سم هذا النوع من الأفاعي بحدود 100 ألف دولار أمريكي. ويستخدم سمها في تصنيع المستحضرات الطبية غالية الثمن، و يُعدّ ذلك فرصة لاستثمار هذا المورد الطبيعي المتجدد لبناء مشاريع تنموية" بيوطبية"، تستند إلى التخطيط البيئي الذي يدعم تحقيق أهداف حماية النظم الإيكولوجية وصونها، علاوةً على التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تدعم المجتمعات المحلية، وترفد خزينة الدولة بموارد مالية ضخمة.

13- إن لبرمائيات وزواحف إقليم البادية السورية أهمية على المستوى العالمي؛ إذ إنّ هناك نحو 20 نوعاً منها مصنّف عالمياً على القائمة الحمراء بأنها من الأنواع المهددة بالانقراض، وهذا مؤشر يمكن الاستفادة منه في لفت انتباه المنظمات الدولية والمحلية ذات الصلة في حماية التنوّع الحيويّ ، ويشير إلى أهمية حماية الحياة البرية في إقليم البادية السورية، كما يعدّ ذلك مؤشراً إلى اختلال النظام البيئي في إقليم البادية لعدّة أسباب، غير مباشرة؛ منها تدهور الغطاء النباتي الطبيعي ولاسيما الغابوي، وارتفاع التلوث في موارده المائية ولا سيما في الأراضي الرطبة، وهناك أسباب مباشرة منها العداء مابين الإنسان والزواحف ولاسيما الأفاعي الذي أدّى إلى القضاء على الكثير منها، فضلاً عن أن بعض الأفراد يقومون بجمع بعض أنواع الأفاعي المهمة اقتصادياً، ويهربونها إلى خارج البلاد لقاء مبالغ مالية معينة.

14-يصل مجموع عدد الطيور النظامية والطارئة في الجمهورية العربية السورية 360 نوع تقريبا، أي 4 % من مجموع الطيور الموثقة في العالم التي يبلغ عددها نحو 9040 نوعاً، مما جعل سورية محطّ اهتمام عالمي للمنظمات الدولية التي تعنى بحماية الطيور البرية، وجذب للسياح الذين لهم هواية في مراقبة الطيور البرية، وعلى الرغم من أهمية هذه الثروة إلا أنها لم تأخذ حقها الكافي في الأبحاث الوطنية المعمقة التى تعنى بدراسة حالة تكاثرها وموائلها وأماكن إقامتها ومسارات هجرتها، فضلاً عن الأخطار التي تهدّدها والإمكانات التي تعمل على حمايتها من خطر الانقراض.

16- أثمرت مشاريع التنمية المستدامة للموارد الطبيعية في وضع خطة لإدارة مراعي محمية التليلة الطبيعية، شارك في وضعها لجنة للرعي منتخبة من مربي الإبل، مهمتها اتخاذ القرارات التي تسمح لقطعان الإبل بالرعي داخل المحمية بعد تحديد فترة الرعي والحمولة الرعوية، وتم وضع أسس ومعايير تنظم عملية الرعي داخل المحمية، بما في ذلك رسم خرائط الحمى ، وإنشاء مراكز حكومية متخصصة في تسمين العواس في المحميات الرعوية، لتلبيّة جزء من احتياجات البلاد من لحم الضان، وأخرى لتحسين الأغنام من أجل رفع إنتاجيتها من الحليب واللحوم والصوف، فضلاً عن توزيع الكباش المحسّنة على المجتمعات الرعوية المجاورة للمشروع.